الاميرة الخطيرة التي اود ان يقتدي بها سيداتنا المثريات ولو جزءًا من مائة فقط

وقد زارت القيصر وعائلته في فريدبرك في جرمانيا بثوبها الرهباني السنة الماضية وهذه اول زيارة للبلاط الملوكي بعد تركها العالم

وكما ابنت اولاً فانها خصصت ثروتها العظيمة البالغ ريعها خمساية الف ليرة انكليزية سنانية لهذا العمل الخيري واذ لم تكتف بذلك فانها باعت مجوهراتها في باريز وخصصت نفقاتها لذات العمل

وديع ابو رزق

* * *

ليلة مع الملاك جبرائيل

خطاب الآنسة ادال جريديني في حفلة جمعية يد المساعدة للسيدات الانجيليات

للنفس حالات تتراكم بها عليها جبال من الهموم فتطلب الخلوة وتميل الى الانفراد · في مثل هذه الحالة خرجت ترويحًا لما تعاني · وما الهموم الا اثقال لا تطاق تلتهم قوى النفس اذا لم تجد منصرفًا الى البعد عنها

خرجت قبيل الغروب امشي لا الوي على شيء حتى ادركني التعب فجلست طلبًا للراحة · جلست افكر في الانسان وما شاهدته من اعماله اثناء ذلك اليوم · فصحت مدفوعة بعامل التأثر والانفعال قائلة ما اشر الانسان وما ابعده عن الحنان ·

واني لكذلك رأيت الشمس تتدرج في الغروب حتى توارت وراء الافق مودعة النهار الماضي والعاء ومستقبلة الغد · اوقيانوس الحياة المتلاطم بالامواج هدأ وضجيج الطبيعة سكن والكل اوى الى الراحة كأن الجميع في سبات فلم يعد يسمع صوت ولا نسيم يجري فيحرك اصغر النبات · واذا بالقمر طالع من خلف الجبال مرسل اشعته عليلة صفراء كأن سهاد الليالي ذهب بنورسناه فلم يترك له الا نورًا ضئيلاً ووجهًا مكمدًا فقلت له لاشك انك ايها القمر قد شاهدت من شر الانسان اثمان وحالتك ما جعلك حزينًا كئيبًا مصفر الوجه فما اشبه حالتك بحالتي من هذا القبيل غير انك سعيد من وجه اخر لانك تسرح في هذا الفضاء بعيدًا عن الانسان تراه ولا تدنو منه · واذ ذاك شعرت بوطء اقدام خفيفة ورأيت شبحًا ابيض واقفًا امامي وهو يقول لي — قدمي اتبعيني) · فقلت — الى اين

ومن انت ؟

فقال انا الملاك جبرائيل علمت حالتك وما يتنازع قلبك وفكرك وعلمت شدة حقدك على الانسان فاتيت لاسعدك . قال هذا ومد على ثغره ابتسامة حقيقة ظهر من خلالها الاشفاق فاذعنت له واخذنا نسرح في الفضاء الاثيري بين السيارات والنجوم والارض منبسطة تحتنا بمناظرها البديعة وكنت انظر مرة بعد مرة الى العالم تحتنا على غرة من رفيقي هذا .

ثم وانا اتطلع شعرت بيد الملاك اللطيفة وضعت على كتفي فقال لي انظر الى هذه البقعة من الارض . فنظرت وشاهدت ما انفطر له قلبي . شاهدت شبحاً عليلاً ملقى على فراش المرض يحاول النهوض فلا يقدر وقد علا وجهه الاصفرار . شاهدت صدره يخفق بسرعة وسمعت انينه المتقطع فايقنت ان تلك النفس ستفارق ذلك الجسم سريعاً

فالتفت الى الملاك وقلت له لم ترك هذا الانسان وحده على فراش خشن يقاسي الموت ؟ قال لأن لا قريب له يعين ولا صديق يواسي ولا رجل مروءة يعتني بامره . مرض فلم يكن له من يداويه او يعوده على الاقل وسيموت بدون ان يسمع كلمة تشجيع ساعة موته . سيموت وتموت معه تلك الاماني المدفونة بصدره . سيموت ولا يعلم احد بامره .

قلت وما ذنبه ؟ قال لا ذنب له ولا اثم عليه الا انه فقير وقد رزح تحت اثقال المرض من جراء الفاقة فسيموت شهيد عدم الشفقة . سيموت لأن القلوب (آه من شر تلك القلوب) خالية من الرحمة والحنان . ولكن هلم بي بالمسير فالمسافة طويلة

فتبعته بعد ان شيعت ذلك الجسد المائت بنظرات الحزن . ولم نسر الا القليل حتى شاهدنا اشباحاً بيضاً تمشي الهوينا فظننتها ملائكة . فصحت من فرحي يا ابي هذه ملائكة طاهرة بثيابها الملائكية ! فتبسم لجهلي وقال ما هذه الاشباح الا فتيات نظيرك . فقلت بعد ان تفرست فيهن ملياً هنيئاً لهن ما اسعدهن انهن لا شك آية الظرف واللطف .

انهن ذاهبات لضمد جراح افئدة المساكين . ذاهبات لاتمام ما تطلبه الانسانية منهن . فلنتبعهن لنرى ما سيكون من امرهن اني لا اشك انهن ذاهبات لعيادة ذلك المسكين المائت

فتقدم الملاك وتبعته على الاثر حتى وقف حيث وقفت اولئك الفتيات فاشار اليّ بيده لانظر فنظرتهن داخلات قاعة فسيحة الاطراف تضم عدداً غفيراً من اوانس وسيدات وشبان وكهول . بها موائد عديدة والناس من حولها جلوس . فقال لي الملاك انظرت الى اين قصدت اولئك الفتيات الغنيات والسيدات المترفات ؟ انظرت انهن انما اتين لصرف

ما يخسرن من النقود عَلَى موائد القمار ؟ انظرت ما في واجباتهن للانسانية ؟ انظرت كيف يقضين اوقات الحياة ويرمين الدرهم والدينار الى مهاوي الهلكات بالمئات ؟ انظرت لماذا لا يمدون يداً لمساعدة ذلك المسكين البائس ؟ انظرت انهن لسن ملائكة بل ابالسة ؟

فقلت اذ ذاك رفقاً ايها الملاك جبرائيل الكريم لم اتيت بي الى هذا الفضاء ، حيث اشاهد من شر الانسان اكثر مما كنت ارى . رحماك يا اخي اشفق عَلَى قلبي واحجب عن عيني ما يمثل صور شر الانسان . فقال لا بأس من ذلك اتبعيني . فتبعته تتابعني التأملات في حالة اولئك الفتيات . اللواتي نظرتهن عَلَى خلاف ما رجوت من زخرف تلك الهيآت وتوسمت من بهاء هاتيك الطلعات

وكان قد اثر في هذا المشهد تأثيراً لم يخف معرفته عَلَى جبرائيل . فقال لي تناسي ما امكنك ما تتعبين له نفسك الطاهرة . كفاك حزناً يقودك الى الحقد عَلَى اختك الفتاة . تعالي لاريك ما يسر خاطرك ويشرح صدرك . عجلي فان الوقت قد فات واخذ بيدي وجعل يحدثني عن الانسان ومصيره وما يؤول اليه حاله فاطرقت . وساعة واذا بي ارى آثار المسكنة والذل تحتنا . رأيت بيتاً حقيراً تكاد جدرانه تنقض الى الحضيض يخرج من نوافذه نور شمعة ضئيل وفيه امرأة فقيرة محتضنة ابنها المرتعش من قرص البرد . تدثره بالثياب البالية قطعة فوق قطعة لتدفئه . ولما وجدت انها حاولت محالاً ضمته بكلتا يديها واخذت تقبل جبينه ووجنتيه حيناً وتضع يديه عَلَى خديها وفيها حيناً آخر وقلبها مشتعل بنار الانفعال والحنو الوالدي . وكم ودت لو تقدر ان توقد انفاسها لتخفف عنه شيئاً من الم البرد . آه ما امرّك يا فقر . تحوّل عن مساكن البائسين

ولما وجدت ان لا فائدة من ذلك ركعت عَلَى ارض البيت العارية تبكي من هول ما سيكون لانها علمت ان ابنها هذا الوحيد مات شهيد البرد والفقر . فاين انت ايتها المروءة واين انت ايتها العواطف الرقيقة ؟

ركعت وعيناها المغرورقتان بالدموع ترنوان نحو العلا فعلمت انها تخاطب ربها وسمعتها تقول يا رب الناس الباصر بالجميع يا ارحم الراحمين ارحم ولدي هذا المائت . أبا ربي انت وحدك عالم بحالي وفقري المدقع . الهي لِمَ خلقتني ؟ ألِمَ اعطيتني هذا الطفل ليموت من ألم البرد ؟ فاخذت اذ ذاك ابكي لبكاء تلك المسكينة وقلت يا اخي جبرائيل دعني انزل لاساعد هذه الارملة . فقال قفي قليلاً وانظري

ولم يمض الا القليل حتى رأيت امرأة داخلة عَلَى تلك الارملة تحمل بيد اثواباً صوفية

وعليه الثانية انه ملاكاً عظماً ، ووضعتها امامي وقالت لها البسي هذا الرداء والبسي ابنك الرداء الثاني ، البسهي على الحسراء [illegible] فقد اتيتك لتحمي بكفيك [illegible] اسرع وساعود اليك بعد مدة ثلاثة ايام فلا تيأسي فان الله سميع تنهداتك وسيرسل لاعانتك . فقال لي الملاك انا هذه ملاك من ملائكة الرحمة يا ادال ؟ قلت لا اشك بذلك ايها الملاك الطاهر فتنحى هذه الملاك

وتركنا [illegible] ليلة البيت واستأنفنا السير وكان التعب قد اخذ مني كل مأخذ غير ان شدة رغبتي في مشاهدة احوال الانسان هونت عليّ الامر وحالي . ووقفنا هذه المرة وكانت الرحلة وقفة اعتبار . شاهدنا رجالاً يحفرون حفرة ليدفنوها فيها [illegible] شاهدنا امرأة تودع [illegible] ويدفن تلك الجثة التي شاهدناها في الفقر السابق

فسألت الملاك من هذه الثلاثة ؟ فقال ما في الاّ امرأة فقيرة . قلت ومن هؤلاء النسوة ؟ قال هن بنات الشفقة من [illegible] الانسانية هن ملائكة الارض وسكانها . قلت واي اسم يطلق عليهن قال [illegible] والناس [illegible] المستوى العالي الى ارتفعنا هذه وفي شوق لمشاهدة امر [illegible] وجدت بمشاهدة فدخلنا الى قاعة بسيطة [illegible] حولها ، ويأتي حلقة [illegible] من النساء [illegible] لاهيات بالخياطة والقص [illegible] من كيفية [illegible] وكانت علامات الهيبة والرقة وحب المساعدة بادية على محيا كل منهن

فقال لي الملاك هؤلاء هن النسوة العاليات [illegible] هؤلاء هن سيدات الانسانية محققات [illegible] هؤلاء هن العاملات [illegible] وبين هؤلاء من اعضاء جمعية يد المساعدة [illegible] فصحت فرحاً [illegible] ، وعند ذلك ودعني الملاك بعد ان اوصلني الى الارض ثانية وقال لي الى اعضاء جمعية يد المساعدة سلامي [illegible] الشمس واحراز الفلاح [illegible] ان الله لا يضيع اجر المحسنين

ولي كلمة لك ايتها الجمعية في الختام ، كلمة تحريض للتقدم الى الامام . لا تقلن ايتها السيدات اعضاء هذه الجمعية انا وجدنا تأخراً بعض الاحيان . يجب ان تثابرن على التقدم [illegible] . لا تقلن لا مقدرة لنا ان ندير هذه الجمعية بعد موت رئيستها . لم لا مقدرة لكن ؟ ألا تكن ضعيفات ؟ ألا تكن سوريات ؟ ألا [illegible] لا يوجد فيكن الكفاءة ؟ ألستن جاهلات ؟ لا والحمد لله انكن حكيمات عاقلات فثابرن اذن على التقدم ليجري فيكن الدم السوري الشريف [illegible] فيكن النخوة الشرقية [illegible] مثالاً حسناً لباقي المشاريع الخيرية . فالى الامام ايتها الجمعية الشريفة ابداً

(م)